



The Shurja market.

سوق الشورجة وسط العاصمة حيث يقبل أهالي بغداد على شراء احتياجاتهم للشهر الكريم من هذا السوق.

رمضان في بغداد

تزاوج القدسية مع الموروث

بغداد - وليد عبد الأمير علوان
تصوير - سيف عبد اللطيف الملح

لعل الحسنة الوحيدة التي خرج بها العراقيون من الحروب التي زجوا فيها قسرا، منذ ثمانينات القرن الماضي، هي ازدياد التصاقهم بدينهم، وبالمرور الشعبي الهائل الذي يخبزونه، حيث لم تؤثر السنين العجاف التي مروا بها إلا بالنزير اليسير، على تعطيل احتفالهم بالشهر الكريم، شهر رمضان، الذي له مظاهر احتفال وطقوس، فلما نجد لها مثيلا في بقاع العالم الإسلامي الأخرى، رغم تنوع أطياف الشعب العراقي، وتعدد مذاهبه، بل الأغرب من ذلك، أنه في بعض مناطق جنوب العراق، حيث يعيش الصابئة المندائيون جنبا إلى جنب مع المسلمين، فإنهم يحتفلون بهذا الشهر الفضيل أيضا أسوة بجيرانهم المسلمين.

أصناف أخرى من القطايف، كما ينتشر الكثير من الباعة المتجولين الذين يقومون بعرض حلوياتهم على قارعة الطريق، وبعد الإعلان عن ثبوت رؤية هلال الشهر يبدأ التكبير والتهليل من خلال المأذن وترديد التحية الخاصة بقدم هذا الشهر وهي "مرحبا بك يا شهر رمضان، ومرحبا بك يا شهر الخير والبركات".

طبول رمضان

بالرغم من أنه لا يكاد يخلو منزل من ساعة منبهة فإن الكثير لا زالوا يعتمدون في النهوض لتناول طعام السحور على صوت الطبل الذي يتولى إيقاظ الناس لتناول وجبة السحور، حيث يتوزعون على

آخر يوم من شعبان

غالبا ما يصوم أهل العراق هذا اليوم لما له من فضل حيث روي عن الرسول الأكرم (ص) قوله: "من صام اليوم الأخير من شعبان فكأنما صام شعبان كله"، كما أنه يكون بمثابة الاستعداد لاستقبال الشهر الكريم، وبعد الإفطار يتوافد البعض على المساجد ليرقبوا هلال شهر رمضان، رغم أنه يتم الإعلان عن دخول الشهر الكريم من خلال وسائل الإعلام المختلفة، وتناثر المصابيح الكهربائية ومصابيح الزينة، وتخرج بعض العوائل لتناول الحلويات الخاصة بهذا الشهر، وهي الزلابية والبقلوة، وهما من المعجنات، حيث تعرض معظم محلات الحلويات هذه الأصناف إضافة إلى

لشهر رمضان طعم، ولون، ورائحة، تشعر بها منذ غرة شعبان، فالاستهلال لرؤية هلال شعبان، ضروري لضبط آخره، ومقدمة لازمة لتشخيص شهر رمضان، تبدأ الاستعدادات لشهر رمضان اعتبارا من الأيام العشرة الأخيرة من شهر شعبان، حيث تتكسد الأسواق بالمواد الغذائية الخاصة بالشهر الكريم، وتزدحم شوارعها بالنسوقين الذين يشتررون لوازم المائدة الرمضانية، مع التركيز على تلك التي تدخل في عمل العصائر مثل قمر الدين، وهو عبارة عن طبقات من المشمش المجفف، والتي تستورد غالبا من سوريا، وتمر الهند، والنومي بصرة، مع مواد أخرى مثل العدس، الشعيرة، التوابل الخاصة بأطعمة رمضان.

ثم بعد فترة يصيح : (إمساك . . إمساك يرحمكم الله). أما خلال النهار فإنه ليس باستطاعة أحدهم أن يجاهر بالإفطار، وحتى الشيوخ والمرضى فهم يتمسكون بالشعائر الإسلامية ولا يعلنون إفطارهم. وفي العاصمة، تغلق معظم المطاعم أبوابها حتى وقت الغروب. مع السماح لمطاعم محدودة بأن تفتح أبوابها شريطة أن تضع ستائر أو مظلات تحجب منظر تناول الطعام داخلها وذلك إحتراما للصائمين ومراعاة حرمة هذا الشهر.

وعلى العكس مما يجري في دول الخليج العربي حيث تكون الدوائر الرسمية والمكاتب شبه معطلة خلال فترة النهار، فإن العمل في العراق يجري حسب المعتاد إلا أنه يتم تخفيض ساعات العمل بمعدل ساعتين في بداية الدوام ونهايته، وذلك تقديرا لظروف الصائمين من العاملين.

قبل أذان المغرب ومدفع الإفطار، تقوم ربات البيوت بتهيئة المائدة الخاصة بالإفطار، وتكون عادة حافلة بأنصاف عديدة من الطعام، يكون على رأسها التمر، والذي لا تخلو مائدة منه. سواء كان تمرا طازجا، أو محفوظا، أو رطبيا. إلا أن أفضلها هو التمر المعروف بـ"البرحي" الذي يعتبر من أجود أنواع التمور العراقية، حيث يؤتى به من البصرة، وهي موطنه الأصلي، أما البعض الذين يفضلون تأدية صلاة المغرب في المساجد، فإن المساجد تهوي لهم التمر واللبن سواء من قبل الفائمين عليها أو ما يجلبه أهالي المنطقة إلى المسجد لغرض الأجر والثواب.

تدب الحياة بصورة كبيرة بعد الانتهاء من تناول وجبة الإفطار، حيث تكون المساجد مفتوحة الأبواب وكذلك المرافد الدينية للأئمة والأولياء الموزعة على طول البلاد وعرضها، حيث تتوجه عوائل بالكامل إلى تلك المرافد، ففي بغداد هناك مرقد الإمام موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد (ع) في منطقة الكاظمية، وفي منطقة باب الشيخ هناك مرقد الولي الصالح عبد القادر الكيلاني (رض) حيث تقام حلقات الذكر، وكذلك مرقد الإمام الأعظم أبي حنيفة (رض)، وعادة ما تقوم العوائل ليلة الجمعة بأخذ فطورها معها إلى تلك المرافد الشريفة، أما في بعض المساجد فتقام صلاة التراويح وفي الأخرى تقام مجالس الوعظ والإرشاد طيلة شهر رمضان. هذا في بغداد، ولها ما يماثلها من الطقوس والمراسيم في بقية المدن التي توجد فيها الأضرحة المقدسة وكذلك سائر العراق.

لعبة المحيس

لعل من الألعاب التي تمارس خلال شهر رمضان فقط، وتنضفي على لياليه المباركة أجواء بهيجة، هي لعبة "المحيس"، والمحيس هو تصغير لكلمة "محيس" بكسر الميم، وهو الخاتم، حيث عادة ما يستخدم الخاتم في هذه اللعبة الشعبية، فينقسم المتبارون إلى فريقين يطلق على كل فريق اسم "الجماعة" أو "الجوكة"، أي الجوقة، ويلعب رئيس الفريق الدور الأكبر في تحقيق الفوز، وتتم المنازلة في هذه اللعبة أما بين حيين من الأحياء مباشرة أو عن طريق الدوري بخروج المغلوب ولعموم المحافظة، ويصل عدد الفريق الواحد إلى أكثر من 50 شخصا ←



Sweet and nuts shops in Shurja market.

محلات لبيع المكسرات داخل سوق الشورجة.



Sweet and nuts shops in Shurja market.

محلات لبيع المكسرات داخل سوق الشورجة.

فريضة الصيام، وذلك للاستمتاع بليالي رمضان، والتعود على تلك العادة الحميدة منذ الصغر، وغالبا ما يكون طعام السحور طعاما خفيفا لأنه سوف يعقبه نوم، وقبل أذان الصباح ينادي المؤذن : (إشرب الماء وعجل قبل ما يأتي الصباح، إشرب الماء وعجل إنه الماء المباح)

مجاميع تتولى كل مجموعة منطقة أو حي أو شارع، ويبدوون بالضرب على آلة يطلق عليها في العراق (بالدمام)، وهي الطبل الكبير، كما تتولى المساجد تنبيه الناس إلى حلول وقت السحور حيث يستيقظ جميع أفراد العائلة، حتى الصغار الذين لا تشملهم



Clothes shops in the Arabian market.

محلات بيع الملابس داخل السوق العربي.

وغالبا ما يقوم أهل البيت بإعطائهم مبلغا بسيطا من المال أو بعض الحلويات.

أيام رمضان الأخيرة ووداعه

تنشط في الأسبوع الأخير محلات بيع الملابس والأحذية، حيث يحرص الأهالي على شراء ملابس جديدة لأطفالهم، كما وتذب الحركة في محلات الحلاقة حيث يسعى أغلبية العراقيين إلى حلاقة الشعر استعدادا للعيد السعيد، كما وتقوم أغلب العوائل بإعداد "الكليجة" وهي نوع من الحلويات خاصة بالعيد تصنع من الدقيق والزيت، والذي يحشا بعد عجنه بالجوز والسكر أو بالتمر أو يعجن مع السكر مباشرة، وحرص أغلب العوائل على تقديمه للضيوف الذين يوفدون للتهنئة بمناسبة العيد.

أما في اليوم الأخير من شهر رمضان، فإن البعض يصعد إلى سطوح المنازل لمراقبة هلال شهر شوال والبعض يعتمد على الراديو والتلفاز للتأكد من ثبوت الرؤيا، وعند ثبوت الرؤيا شرعا تبدأ المساجد وعبر مكبرات الصوت بتوديع هذا الشهر بالنداء المعروف:

الوداع يا شهر رمضان

الوداع يا شهر الطاعة والغفران

وقبل الخلود إلى النوم يتناول من كان صائما أكلًا خفيفا يطلق عليه العامة "سحور البيتمة".

لعل الاحتفال بهذا الشهر الكريم هو واحد لدى الجميع إلا أنه قد يتباين بدرجة أو بأخرى حسب الوضع الاقتصادي والاجتماعي للشخص ومن ثم العائلة.

ولا ندري كيف سيكون حال شهر الصيام هذا العام، وسط التفجيرات التي لا تنتهي والسيارات المفخخة، والقذائف التي تسقط على كل من هب ودب، دون أن تعرف حتى قوات التحالف مصدرها. ■

المناسبة مجالس العزاء في المساجد والبيوت في بغداد والمحافظات الوسطى والجنوبية، ويرع الخطباء بالتذكير بهذا المصاب الجليل الذي أصاب المسلمين، ويتم فيها أيضا توزيع الأطعمة الرمضانية على ذوي القربى والفقراء. أما ليلة القدر والتي هي "خير من ألف شهر" فإن معظم الأضرحة والمساجد تبقى فيها مفتوحة الأبواب حتى الفجر، حيث تستقبل هذه جموع المؤمنين الذين يحيون هذه الليلة المباركة بالصلاة وتلاوة القرآن والتوسل والتهجد، وكذلك تجتمع أكثر من عائلة داخل بيت واحد لإحياء هذه الليلة المباركة، وبخصوص الجمعة الأخيرة من شهر رمضان والتي تسمى بـ"الجمعة البيتمة" فإن لها حظوة خاصة لدى العراقيين، حيث يزداد فيها التصدق وتوزيع الأطعمة على المحتاجين.

ما هي ماجينة ؟

للأطفال حصتهم أيضا في الشهر الكريم، حيث يدورون بعد الإفطار على البيوت الموجودة ضمن مناطق سكنهم وهم ينشدون :

ماجينة يا ماجينة حلّ الكيس وانطينة

وبعد ذلك ينشدون :

الله يخلي راعي البيت أمين
وبجاه الله واسماعيلين أمين

ثم يكررون أسماء من يعرفون من أهل البيت، فإذا أبطأ أهل البيت في إعطائهم النقود أو الحلوى ينادون:

يا أهل السطوح تنطونة لو نروح

حيث يتم إخفاء هذا الحبس بيد احد أعضاء الفريق، وعلى الفريق المنافس اكتشاف هذا الحبس الحُبأ من خلال رئيس الفريق أو من يرشحه، وكلما فشلوا في العثور عليه، تسجل نقطة للفريق الآخر، حتى يتم الوصول إلى الرقم النهائي المتفق عليه وغالبا ما يكون 30 نقطة، وأحيانا لا تنتهي المباراة حتى الفجر، حيث تؤجل لتستأنف في اليوم التالي.

وتعتمد هذه اللعبة على الفراسة، وقوة الملاحظة، وعلى مدى قوة أعصاب حامل الحبس وقدرته على عدم إظهار أي تغيير على تعابير وجهه، وبعد الانتهاء من المباراة يتم توزيع الحلويات على جميع أعضاء الفريقين، وجمهور الحضور، وسط جو من الفرح يشمل حتى أعضاء الفريق الخاسر، ومن أشهر الفرق الشعبية في بغداد فريقى محلتي الفضل والكاظمية، وقد أسهمت هذه اللعبة بمجاميع أبنائها وهم يمثلون الحلة بأصنافهم وطبقاتهم بصغيرهم وكبيرهم، بشد أوأصر الثقة وإحياء التقاليد وتوثيق وشائج الود، وهي من أسباب التواصل والتزاور وتبادل الخبرات وإحياء اللبالي.

ليال لها قدسية خاصة

من اللبالي التي لها قدسية خاصة لدى العراقيين، خصوصا في هذا الشهر الكريم، ليلة السابع عشر من رمضان، وهي ذكرى معركة بدر الكبرى، والتي حقق فيها المسلمون أول نصر على أهل الشرك، حيث تقام احتفالات خاصة بهذه المناسبة، يتحدث فيها الخطباء عن أهمية هذه المعركة باعتبارها نقطة تحول في تاريخ المسلمين، ومن اللبالي الحزينة في هذا الشهر ليلة التاسع عشر والعشرين والواحد والعشرين، وهي ذكرى جرح واستشهاد الإمام علي (ع)، حيث تقام بهذه